

بطولة ملك

العَرُوسُ والمَهْرُ

د. عبد العزيز بن عبد الرحمن الثنيان

مكتبة العبيكان

بطولة ملك

(١١)

العَرُوسُ والمَهْرُ

د. عبد العزيز بن عبد الرحمن الثُّنَيّان

مكتبة العبيكان

ⓒ مكتبة العبيكان، ١٤١٩هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الثُنيّان، عبد العزيز بن عبد الرحمن

العروس والمهر. - الرياض.

٢٤ص، ١٧ X ٢٢ سم (سلسلة بطولة ملك؛ ١١)

ردمك: ٠-٤٨٢-٢٠-٩٩٦٠

١- عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، ملك السعودية

٢- السعودية - تاريخ الملك عبد العزيز ٣- كتب الأطفال - السعودية

أ- العنوان ب- السلسلة

ديوي ٩٥٣،١٠٥ ١٨/٤٠٩٢

ردمك: ٠-٤٨٢-٢٠-٩٩٦٠ رقم الإيداع: ١٨/٤٠٩٢

الطبعة الأولى

١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م

مكتبة العبيكان

الرياض - العليا - تقاطع طريق الملك فهد مع العروبة.

ص.ب: ٦٢٨٠٧ الرياض ١١٥٩٥

هاتف: ٤٦٥٤٤٢٤، فاكس: ٤٦٥٠١٢٩


بسم الله الرحمن الرحيم

العَرُوسُ والـمَهْرُ

«ومن خطبَ الحسناءَ لم يُغْلها المهرُ».

كانَت العروسُ غاليةً، وكانَ المهرُ صعباً، تلكم جدةُ عروسُ البحر الأحمر، مكانُ الصدام الشرس، وميدان القتالِ المرّ.

قال شاهد عيان:

كنَّا نحاصرُ تلكَ العروسَ ونخطبُ ودَّها، وأثناءَ الحصار فُتحَ بابُ المدينة، وخرجَ رجلٌ على حِصانه ومَعَه رايةٌ بيضاءُ قد رفَعَها.

وأخبرْنَا الملكَ البطلَ، فقال: تأكَّدُوا من أنه مندوبُ سلام، وحاملُ رسالة. قالوا: إنه اقتربَ ويُلوِّحُ بالراية.

قال البطلُ: اركبَا يا فلانُ ويا فلانُ، ثم أمرَ جَمْعاً بمُلاقاة الرجل بعدَ اقترَابه معَ الرَّجُلين، وحذَّرهم من أنْ يُخْدَعوا، وأمَرَهُم بالحَذَر.

وانطلقَ الرِّجالُ، وقابلُوا الوافدَ.

وقالَ الوافدُ: أوصلُوني إلى الملك عبد العزيز، واحمُوني منَ المقاتلين.

فقالُوا له: ما خبرُك؟ وماذا تحملُ؟

قال: أنا أحملُ كتاباً من عليٍّ بن الحسين إلى الملك عبد العزيز، وأريدُ مقابلتَه.

قالُوا له: سوفُ تقابلُه، هيَّا إلى الملك.

ورافَقوا الرجلَ، وهَمَّ المقاتلونَ السعوديونَ من رجال البادية برَمْيه والاعتداء عليه؛ حيث كان يلبس لباساً إفرنجياً.

ورأى أحدُ الحرَّاس تلكَ المناوشة، فأسرعَ إلى الملك يخبرُه الخبرَ.

فقالَ الملكُ: يا فلانُ أسرعْ، وامنعْ رجالَ الباديةِ عن الرجلِ القادم.

ووصلَ المندوبُ، ودخلَ مجلسَ الملك فسلّمَ، وقدَّمَ كتابَ عليٍّ ابن الحسين. وقرأ الملكُ الكتابَ، ثم سرحَ بخياله لحظةً، وهتفَ بأعلَى صَوته: لم تبدَأ الحربُ بعدُ، الويلُ لكَ يا ابنَ الحسين، الويلُ لأعوانك، أنا أخو نورَة، أنا أخو الأنور.

واتضَح أن عليَّ بنَ الحسين عرض في رسالته على الملك أن تكونَ بحرةُ خطاً فاصلاً، فما كانَ منها غرباً يكونُ لعليٍّ بن الحسين، وما كان منها شرقاً يتبع الملك عبد العزيز.

والتفتَ الملكُ عبدُ العزيز إلى أحَد رجاله، وقالَ: أحضرُوا الذهبَ القادمَ من نجد. مزّقوا أكياسَ الذهَب، انثرُوا المالَ القادم، أطلعُوا هذا المندوبَ ليبلغَ سيّدَه بما رأى.

ما اسمُكَ يا رجل؟

قال: اسمي فؤادٌ[1].

قُلْ يا فؤادُ لمولاك: إنِّي مانعٌ أهلَ نجدٍ من الحرب، إنِّي حاجزٌ القبائل من الهجوم.

يا ابنَ معشوق –وكانَ علَيه خنجرٌ– أحضرُوا أكياسَ الذهَب، هيا أسرعوا، وضعُوها في المجلس.

وجيءَ بالمال في تلك الأكياس. ثم قالَ الملكُ عبدُ العزيز: يا المعشوقُ مزِّق الأكياسَ، لا رحم الله الأنذالَ. ونُثرت الأولَى، ثم قالَ: عليكُم بالثانية، ثم الثالثة.

(١) لعله الشيخ فؤاد الخطيب وزير خارجية علي بن الحسين آنذاك.

وعندَها قالَ فؤادٌ: مهلاً مهلاً يا سيدي، يكفي!

قالَ عبدُ العزيز: يا درويش يا ابنَ الدراويش، إني لم أحاربْ بعدُ، أهلُ نجد يرسلونَ الذهبَ في هذه الأكياس. هل ما تراهُ حقيقةً وذهبا أو لا؟

قالَ فؤادٌ: صحيحٌ.

قالَ عبدُ العزيز: قمْ واركبْ، هيَّا أوصلوه إلى قومه.

قالَ الرجلُ: مهلاً يا سيدي، إن رجليَّ ما عادتَا تحملانني.

قالَ عبدُ العزيز: هيّا خذُوه، ودعُوه يسترِحْ.

ثمَّ قالوا له: اركبْ.

قالَ الرجلُ: لا أستطيعُ الركوبَ، سوفَ أقضي هذه الليلةَ عندَكم.

قالَ عبدُ العزيز: لا مانعَ، ضعُوا له شراعاً، وافرشُوا له، واحرسُوه، وأطعموه.

ونامَ الرجلُ، ولكنَّه سمعَ في الليلِ حركةً وهمهمةً، وقامَ ينظرُ.

ووجدَ الجنودَ قياماً يتهجَّدُونَ، هذا يُصلِّي، وهذَا يغتسلُ، وهذا

يناجي ربَّه ويصيحُ.

قالَ الرجلُ: الذهبُ موجوُد، والرزُّ موجودٌ، والصلاةُ قائمةٌ! إذاً الفوزُ لكم، والنصرُ للملك عبد العزيز.

وبعدَ طلوع الشَّمس عادَ الرجلُ إلى جدةَ، وأبلغَ القومَ ما شاهدَ وتكلمَ بما رأى.

إن البطلَ داهيةُ حرب، وخبيرُ نفوس، وعالمُ اجتماع، يعرفُ الإعلام وأثَره. إنَّها البطولةُ والعظمةُ.

تَصرّفٌ بذكاء، وتعاملٌ بحزمٍ. وعاد الرجلُ يحملُ رسالة أخطرَ وأبلغَ من الرسالةً التي جاء بها.

إنها جدةُ التي طال حصارها، ودام قرابةَ عامٍ؛ وذلك أنه بعد السيطرة على الطائف، ودخول مكة المكرمة، وتنظيم شؤونها، ورعاية أحوالها، وطَمْأنَةِ سُكانها أقامَ البطلُ في المدينة المقدَّسة قرابةَ شَهر.

وحاولتْ أثناءَ تلكَ الفترة جهاتٌ متعددةٌ أنَ تصلحَ بينه وبين الملك

عليٍّ، لكنَّها لم تنجحْ، وخصوصاً بعد أن حلَّقتْ طائرةٌ من قبَل الملك عليٍّ فوقَ مكةَ، وألقَت منشورات تحرِّضُ سكانها على الثورة على الملك عبدِ العزيز. وجاء في تلكَ المنشورات:

لقد جمعْنا شعَثَنَا، وأقبلَ إخوانُكم إلينا من كلِّ حَدب وصَوْب، حتّى أصبحَ لدينا ـ والحمدُ لله ـ من الرجال والعتاد ما يردُّ كيدَ العدوِّ في نَحره. ولقد جهَّزْنَا جندَنا بكلِّ الوسائل الفنية والمعدَّات الحربيَّة، وها نحن على أُهْبَة الرحيل إليكم، وتطهير بلادنَا من المغتصب لها.

ستبدأ طيارتُنا بالتَّحليق في جوِّكم لتمطرَ العدوَّ وابلاً من القذائف النارية.

كونُوا علَى ما نعهدُ فيكُم منَ الثبات والطُّمأنينة والشجاعَة، ولا تجعلُوا للعدوِّ سبيلاً إلى الفرار.

وقد كتبَ الملكُ البطلُ للرّيحاني الذي كانَ في جدةَ رداً على رسالة وصلت منه، كتب يقول:

إن عليَّ بنَ الحسين دعانَا للمناجَزة - يشيرُ بذلك إلى المنشورات

(١) على كثب منه: على قرب منه.

التي ألقَتْها الطائرةُ ـ وقد لبَّيناه، ولم نشأ أن نحمِّلَ الشريفَ عليًا مؤونةَ القدوم إلى الحرَم، فزحفْنَا إليه وأمَرْنَا أن يكونَ قسمٌ من جندنا على كثَب[1] منه، فليبرَّ بوَعده إذا كانَ من الصادقينَ.

إنه التحدِّي والمنازلةُ، إنها الحربُ والمصادمةُ.

وأذنَ الملكُ البطلُ بالزَّحف إلى جدةَ يوم السبت، ٧ من جمادَى الآخرَة ١٣٤٣هـ/ ٣ من يناير عام ١٩٢٥م. ووصلتْ طلائعُ القوَّات السعودية إلى ضواحي جدةَ، وتولَّى البطلُ قيادةَ الجيش الزاحف، ورابطَ في الوزيرية، ثم عسكَر في الرغامة على مقربة من جدةَ.

وكانَت القواتُ السعوديةُ الزاحفةُ تزيدُ على ستة آلاف مقاتل، ثم زادَ عددُها حتى جاوزَ عشرةَ آلاف.

وكانَ مَعها ما لا يقلُّ عن عشرينَ مِدفعاً، ومجموعةٌ من الرَّشَّاشات، وكمِّيات من الذخائر.

إلا أنَّ هذه القوات لم تكنْ متكافئةً مع قُوات عليٍّ بن الحسين التي تشتملُ على الطائرات والمصفَّحات والرشَّاشات والأسلاك الشائكة والخنادق والألغام، ومقاتلين من داخل البلاد وخارجها، وخصوصاً

(١) كثب: قرب.

من شَـرق الأردُنِّ وفلسطينَ. ولكنَّهـا إرادةُ الله، ثم همـةُ الرِّجـالِ، وعظمةُ القيَادة.

يقولُ أحدُ المشاركين للملك البطل: لولا الله ثم صبرُ الملك عبد العزيز لما أدركْنَا شيئًا، لقد أنزلَ الله علينَا السكينة، وكنا نتمنَّى الموتَ.

وصارتْ بينَ القوات المتقابلة المناوشاتُ، وتكررَت الصداماتُ التي تشتدُّ أحياناً، وتهدأ أحياناً أخرَى.

ومَنعَ البطلُ جنودَه من اقتحامِ جدةَ خوفاً على سكانها وما فيها من الرَّعايا الأجانب.

ووجَّهَ السرايا إلى شماليِّ جدةَ وجنوبيِّها، فسيطرت على اللَّيثَ والقنفذةَ في الجنوب، وسيطرتْ على رابغَ وينبع النخل والعُلا في الشمال، وفتحَ الطريقَ بينَ مكةَ وهذه الجهات.

وكانت الأخبارُ تردُه بأنَ الحسينَ بنَ عليٍّ بعدَ تركه الحجاز استقرَّ في العقبة، وأخذَ يوالي نشاطَه العدائيَّ للمَلك عبد العزيز، ويمدُّ ابنَه علياً في جدةَ بالأموال والسلاح والرِّجال.

ولهذا أمرَ الملكُ عبدُ العزيز حاكمَ جبل شمَّر وما يتبعُه من أمكنةٍ،

الأميرَ عبدَ العزيز بنَ مساعد أنْ يبعثَ بقُواته لمهاجمة العَقَبة.

ونفَّذَ الأميرُ ابن مساعد الأوامرَ، وسارَت القواتُ السعوديةُ إلى العقبة، وعلمَ الإنكليزُ بذلكَ.

واتصلُوا بالملك عبد العزيز، وطلبُوا منه أن يوقفَ قواته، والتزمُوا بإبعاد الحسين بن عليٍّ من العقبة، وقبلَ الملكُ ذلك، وأمرَ قوَّاته الزاحفةَ بالتوقُّف.

وتحدَّثَ ضابطٌ بريطانيٌّ معَ أمير الأردنِّ عبد الله بن الحسين بوجوب إبعاد أبيه.

وامتنعَ الحسينُ واشتدَّ، فقالَ له ابنُه: «يا وليَّ النِّعَم، سياسةُ العُنف والشدَّة لا تفيدُ تجاهَ القوة».

وأذعنَ الحسينُ، وامتثلَ للأمر، وغادرَ العقبةَ في أواخر ذي القعدة سنة ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٥م، وتوجَّهَ إلى قُبْرُصَ.

واقتربَ موسمُ الحجِّ، واهتم الملكُ عبدُ العزيز بالحجِّ أكثرَ من اهتمامه بالحرب، فأرسلَ قبلَ ثلاثة أشهُر نداءً إلى جميع المسلمينَ في مَشارق الأرض ومَغاربها، يخبرُهم بأن النظامَ قد سادَ في البلاد المقدَّسة، وأن الطرقَ آمنةٌ، وأنه يرحِّبُ بالحُجَّاج، ويتكفَّلُ براحتهم

وأمنهم، وأن الموانئَ الثلاثةَ ـ رابغَ والليثَ والقنفذةَ ـ تتشرفُ باستقبالهم.

وكانت تجيءُ هذه الموانئَ كلَّ خمسةَ عشرَ يوماً بواخرُ هنديةٌ ومصريةٌ وإيطاليةٌ حاملةً الأرزاقَ.

ولقد استجابَ المسلمون لندائه، وخصوصاً من الهند، وقرَّر الملكُ الإشرافَ على أمور الحجِّ بنفسه، وتركَ بعضاً من قُواته تحاصرُ جدةَ، وتوجَّهَ إلى مكةَ في أواخر ذي القعدة للحجِّ ومتابعة أمور الحجيج.

وتحققتْ آمالُه فلأوَّل مرة يتولَّى عبد العزيز مسؤوليةَ الحجِّ. وأدَّى المسلمونَ حجَّهم بأمن وطمأنينة وسلام.

وبعد انتهاء موسم الحجّ عادَ الملكُ عبدُ العزيزِ إلى جدةَ لقيادةِ الجيوشِ المُحَاصرة، والإشرافِ المباشرِ على المجابَهة.

وكانت المدينةُ المنورةُ آنذاكَ تخضعُ لسيادة الحجاز.

وقررَ الملكُ عبدُ العزيزِ السيطرةَ عليها، ولكنَّها مدينةٌ مقدَّسة، فكيف ستكونُ المواجهةُ؟

إنها مدينةُ المصطفَى ﷺ، ولا بدَّ من الرفقِ وعرض السَّلام والاستسلام.

وأرسلَ الملكُ إليها من يدعُوها إلى الاستسلام، وامتنعتْ حاميتُها، فحاصرَتْهـا السَّرِيَّة التي بعثَـها الملكُ عبدُ العزيز، واشتدَّ الحصارُ، وصارَتْ مناوشاتٌ بينَ المُحاصرينَ والحامية.

وطالَ الحصارُ، وشحَّت الأطعمةُ، وغادرَ المدينةَ عددٌ كبيرٌ من أهلها.

وعرفَ أهلُ المدينة أنَّ المدنَ الواقعةَ شمالهم وغربَهم سيطرتْ عليها قواتُ الملك عبد العزيز، وأدركُوا أنَّه لا بدَّ من الاستسلام والدخول في الطاعَة.

ولهـذَا أرسلُوا وفداً منهم إلى الملك عبـد العزيز وقدَّموا له الولاءَ والطاعةَ، وطلبُوا منه إرسالَ أحد أبنائه ليسلِّمُوا لَه.

واستجابَ الملكُ، وأرسلَ ابنَه الأميرَ محمدَ بنَ عبد العزيز، وحينَ وصلَ الأميرُ محمدٌ وجَد أن الحاميةَ ترفضُ وتأبَى الاستسلامَ، فأقامَ محاصراً دونَ قتال؛ عملاً بأوامر والده، وضَيَّق الخناقَ.

وأبرقَت الحاميةُ إلى جدةَ تقولُ: الذي يهمُّنا الأرزاقُ للجند، وعدتُمونا بإرسال الدراهم المتيسِّرة بالطائرة، إلى الآنَ لم نرَ أثراً لها، دبِّروا وأرسلوا لنا الدراهمَ.

ثُمَّ أبرقَتْ مرةً أخرَى تقولُ: انقضَى الأمرُ، ولم يبقَ في اليد حيلةٌ؛ الجنودُ ما عندَهم أرزاقٌ إلا لثلاثة أيام، إذا لم تصل الطائرةُ غداً الظهرَ سوف نفاوضُ على التسليم.

وجاءَ من جدةَ الجوابُ أنه يستحيلُ إرسالُ الطائرة لعدم وجود بنزين.

وضاقَت الحالُ، وخرجَ وفدٌ لمفاوضة الأمير محمد بن عبد العزيز على التسليم، واتفقَ الطرفان على أن يؤمِّنَهُم الأميرُ على دمائهم وأموالهم، ويسلِّمُوه جميعَ ما للحكومة من أموال وأسلحة وغيرها.

ودخلَ الأميرُ محمدُ بنُ عبد العزيز في ١٩ من جمادَى الأولَى عامَ ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م المدينةَ المنورةَ، وحلَّ الأمنُ بربوعها، وسادَ الخيرُ أجواءَها.

ووزَّعَ على المستحقِّين من أهلها الأطعمةَ التي جاءَ بها من رابغَ.

وتوالَت الانتصاراتُ، وكانت المناوشاتُ حولَ جدةَ تهدأ وتشتدُّ؛ فالجيشُ الحجازيُّ لديه القنابلُ الكاشفةُ التي تُنيرُ المكانَ الذي تنفجر فيه، والأنوار الكشافةُ التي تكشفُ حركةَ الجنود في الليل، والأسلاكُ الشائكةُ التي صارتْ على شكل هلال حولَ جدةَ، ثم الخنادقُ المحفورةُ وراءَ الأسلاك التي تحجزُ المقاتلينَ السعوديِّينَ، والمدافعُ

والمُصفَّحَاتُ والرَّشَّاشاتُ التي تهدرُ وتطلقُ قذائفَ الموْت والدَّمار.

قوةٌ واحتياطاتٌ، ولكنَّ الله غالبٌ على أمره. فحتَّى الطائراتُ خابت وما أفلحَتْ، وانفجرتْ وما خدمَتْ.

ففي أصيل اليَوم الثالث والعشرينَ من جُمادَى الآخرة طارَت الطائرةُ التي كانَ يقودُها الطيَّارُ الروسيُّ، واسمُه تشاريكوفُ، ومعَه شَخصان، وحلَّقَتْ فوقَ القُوات السعودية، ودارتْ حوَل الجنود.

وأرادَ الطيارُ إرهابَ المقاتلينَ، وإفزاعَ المحاصِرين، وصارَ يبحثُ عن خَيمة البطل، ويُفتشُ عن مكان الصَّقْر.

وسرحَ الطيارُ ومرَح، فلا مضادّات أرضية، ولا طائرات تصدُّه وتُجالدُه.

يقولُ أحدُ المشاركينَ: جاءَ الجماعةُ لعبد العزيز، وقالوا: يا عبدَ العزيز، اخرُجْ من هذا المخيَّم.

قالَ عبدُ العزيز: لأيِّ شَيء، الذي كتبَه الله سيتمُّ. لن أتعدَّى هذا المخيَّمَ.

إنَّه الإيمانُ والشجاعةُ، والبطولةُ والتضحيةُ.

وجاءَ المشائخُ والأميرُ سعودٌ الكبيرُ، وقالوا: فرَّ من قَدَرِ الله إلى قَدَرِ الله.

قالَ عبدُ العزيز: توكَّلتُ على الله، أنَا لا أتركُ هذَا المخيَّمَ، يثورُ مدفعٌ أو لا يثورُ، تثور عشرةُ مدافعَ أو مَا تثورُ، تجيءُ الطائرةُ أو لا تجيءُ.

لن أتعدَّى هذا المخيمَ، ما من شَيء إلا بأمر الله، والذي كتبهُ الله سيتمُّ عليَّ وعلَى الكَبير والصَّغير، ولن أتطيَّرَ، ولا يصحُّ التطيُّرُ، ولا يجوزُ لمسلم أن يتطيَّرَ، ولا لعاقل أن يتطيرَ.

نحنُ راضونَ ومسلِّمونَ، ومحاربونَ بعَون الله.

يقولُ حافظُ وهبة ـ وقد حضرَ حصارَ جدةَ ومعاركَها: أشهدُ أنَّ الملكَ عبد العزيز ـ بالرغم من الأخطار التي كانتْ تُحيطُ به ـ ما كانَ يتزحزحُ من مكانه، لقد سقطتْ قُنبلةٌ أمامَ خَيمَته، على بُعد بضعة أمتار، ولكنَّها لم تنفجرْ، كما سقطَ غيرُها على المخيَّم في الرغامة خلفَ تلالها.

إنهُ الإيمانُ والثقةُ بالله، واليقينُ والتوكُّلُ على الله، وكفَى بالله وكيلاً، وكفَى به معيناً وناصراً.

ودارَت الطائرةُ وزمجرَتْ في الجوِّ، والأسودُ الضواري ثابتُو الجَنان، يتجهونَ إلى الله بقُلوبهم.

وينصرُ اللهُ الحقَّ، ويقضي أمراً كانَ مفعولاً، وتنفجرُ القنبلةُ التي كانَتْ لعبد العزيز ورجاله.

انفجرَت القنبلةُ في الطَّائرة وهيَ تعلُو نحوَ ألفَيْ قَدم عن الأرض، فتحطمتْ في الجوِّ، وهَوَتْ محترقةً متحطمةً بمَنْ فيها.

وكبَّرَ الملكُ عبدُ العزيز ورجالُه تكبيرةَ الإيمان، تكبيرةَ الاطمئنان، تكبيرةَ الشكر، تكبيرةَ الثِّقة بالله.

وزاد الضغط السعوديُّ، وصارتْ قذائفهم تصلُ إلى داخل مدينة جدةَ بعدَ أن كانَتْ حولَها، وكثَّفَ السعوديونَ هجومَهم في الليل ليرعبُوا الخصومَ ويحرمُوهم لذَّةَ النَّوم، وليسترَهم الظلامُ عن قذائف المُدافعينَ.

وعظُمَ الخطرُ، وقويَ الحصارُ، وخافَ السكَّانُ في جدةَ، وصاروا يغادرونَها، وباتَ الجنودُ يتهرَّبون بعدَ أن وعدَ الملكُ عبدُ العزيز كلَّ مَن خرجَ بالعفو والأمان.

وكانتْ جميعُ المحاولات التي يبذلُها الجيشُ الحجازيُّ لفكِّ الحصار تبوءُ بالفشل، فذاتَ مرَّة، وفي ضُحَى يوم من أيام الحصار انهمرَتْ فجأةً القذائفُ على القوات السعوديَّة المحاصرة.

وبعدَ نصف ساعة من الضَّرْب الشَّديد المتواصل خرجتْ خمسُ مصفَّحات من بوَّابة الكندرة، فسارتْ ثلاثٌ منها تجاهَ نزلة بني مالك، واثنتان إلى الرويس.

ثم تبعَ المصفَّحاتِ ألفُ مقاتلٍ مقسَّمينَ إلى ثلاثة أقسام، ولحق بهم سَرِيَّةٌ من الخيَّالة.

هجومٌ قويٌّ، ونيرانٌ تنهمرُ، وموتٌ لا محالة.

وهبَّ المقاتلونَ السعوديونَ للدفاع والمجابَهة، ودارتْ رحَى الحَرْب، وصارَ الصِّراعُ، ودامَ القتالُ.

وعاركَ الأبطالُ السعوديون المصفحات التي ترشُّ الرصاصَ من رشَّاشاتها في كل جانب، وأبطَلوا الرشَّاشات حتَّى أخذَ الجنودُ الذين بداخل المصفحات يطلقونَ الرصاصَ من مسدَّساتهم، وأصيبَ بعضُهم، وجُرحَ اثنان من السائقينَ الرُّوس جراحاً بليغة. ثمَّ تراجعَت المصفحاتُ، وقد تمزَّقَتْ، وتكسَّرتْ جوانبُ بعضها.

والتحمَ المقاتلونَ، وخاضُوا معركةً رهيبةً حتَّى الساعة الثالثة بعدَ الظُّهْر؛ حيثُ انهزمَ الجيشُ الحجازيُّ.

وعادَت المصفحاتُ والجنودُ إلى داخل الأسلاك بعدَ أن خسرَت الكثيرَ من القتلَى.

إنه الصِّراعُ الطَّويلُ، والعراكُ الشرسُ، والبطولةُ العجيبةُ من الملك البَطل عبد العزيز آل سُعود.

فحَوْلَ جدةَ حصارٌ وقتالٌ، ثمَّ المملكةُ التي وحَّدَها ولملمَها. أعداؤُه في كلِّ مكان يتربَّصُون، وتلكَ الأقاليمُ التي في الجهات الشماليَّة والشماليَّة الغربيَّة من الحجاز تستوجبُ الأحوالُ توحيدَها وإخضاعَها لسلطانه.

وذلكَ العالَمُ يترقَّبُ، والوفودُ تصلُ، وتحاورُ وتناقشُ وتتوسَّطُ، وهو يخشَى تقلُّبَ الأحوال.

إنَّها البطولةُ والعظمةُ، إنها المواقفُ الصعبةُ، ولكنْ كمَا قال أبو العتاهية:

أَتَتْه الخلافةُ مُنقـــادةً   إلَيه تُجَرْجِرُ أذيالَهــا

فلَم تَكُ تَصلُحُ إلاّ لَهُ ولَمْ يَكُ يَصلُحُ إلاّ لَهَا

وأخذَ الحصارُ يثمرُ، فقد اشتدَّ الذعرُ في جدةَ، وضربَت الفوضَى أطنابَها في الجند، وأصابَ الحكومةَ الانحلالُ؛ فلا مالَ ولا ذخيرةَ ولا زادَ يكفي. وخيَّمَت المجاعةُ، وتوالَى خُروجُ الناس من جدةَ وهروبُ الجُند.

ونشرَ الملكُ عبدُ العَزيز بلاغاً، عُنوانُه (بَراءَة الذِّمَّة)، عرضَ فيه الأمانَ علَى مَن في جدَّةَ من ضُبَّاط وجُنود إذا هُم أحبُّوا الخروجَ إلى مُعَسكره، وعرضَ فوقَ ذلكَ المساعدةَ الماليةَ على من أحبَّ منهم السفرَ إلى وطَنه.

وكانَ لهذا البَلاغ ثمارُه؛ فقَد تَركَ الخِدمةَ عددٌ من الجُنود الفلسطينيينَ، وسافَرُوا إلى العقَبة.

وفي حين توالَت النكساتُ علَى الملك عليٍّ في جدةَ مالياً وسياسياً وعسكرياً كان موقفُ الملك عبد العزيز يزدادُ قوةً ومَنَعَةً؛ فالأقاليمُ التابعةُ للحجاز سلَّمَتْ وخضعَتْ للسِّيادة السعودية، والإمداداتُ من نَجد توالتْ، وكانَ آخرُها قُدومَ قوَّة كَبيرة من نجد بقيادة ابن الملك، الأمير فيْصَل بن عبد العزيز.

وأدركَ عليٌّ بنُ الحسين أنَّ الأملَ انتهَى، وأنَّه لا فائدةَ من المقاومة، ولا بُدَّ من مفاوضة الملك عبد العزيز حولَ تسليم البلاد إليه.

ولهذا اتَّصَلَ بالمعتمَد البريطانيِّ في جدَّةَ، وطلبَ منه أنْ يتوسَّطَ حولَ الصُّلح وشروطه. وخرجَ البريطانيُّ إلى مُعَسكر الملك عَبد العزيز، وعرضَ عليه الأمرَ والشروطَ. وبعدَ نقَاش وتعديل طفيف تمَّ الاتفاقُ.

وأمضىَ الاتفاقيةَ الملكُ عبدُ العزيز وعليٌّ بنُ الحسين في غُرَّة جمادَى الآخرة سنة ١٣٤٤هـ/ ١٧ من ديسمبر ١٩٢٥م.

وكانَ أهمُّ ما اتفقَ عليه الطرفان مغادرةَ عليٍّ بن الحسين الحجازَ قبلَ مساء الثلاثاء، ٦ من جُمادَى الآخرة سنةَ ١٣٤٤هـ، ويرحلُ بممتلكاته الشخصيَّة فقَطْ. ويضمنُ الملكُ عبدُ العزيز سلامةَ الموظَّفينَ والعسكريِّين والأشراف والأهالي، ويمنحُهم العفوَ العامَّ، ويتعهَّدُ بترحيل الجنود الراغبينَ في الرحيل، والذينَ قدمُوا من الخارج.

وسارَت الأمورُ كما تمَّ الاتفاقُ عليها، فسافرَ الملكُ عليٌّ إلى العراق. ودخلَ الفارسُ مدينةَ جدةَ يوم ٧ من جمادَى الآخرة، وأُسْدلَ الستارُ علَى ما كانَ يُسمَّى بالعَرْش الهاشميِّ في الحجاز. ولعلَّ

الملكَ عبدَ العزيز قَد تلا قولَه تعالى : ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦].

وهكذا، كما قالَ الريحاني: رحلَ ملكٌ كانَتْ رعيَّتُه تطيعُه وتخافُه، وتولَّى ملكٌ كانتْ رعيَّته تطيعُه وتحبُّه.

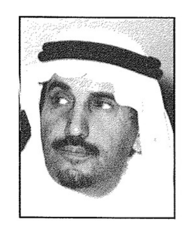
إنَّ عبدَ العزيز أحبَّه رجالُه، وأخلصُوا لَه، فبنَى بهم مُلكاً، وأسَّسَ بهم مجداً.

إلا أنه مع سيطرَته على الحجاز كانَ هناكَ إقليمٌ آخرُ لا بدَّ من الإمساك به.

وفي الحلْقة القادمة بطولة أخرَى وعظَمة ثانية حولَ ذلكَ المكانِ

إنها أخر قصة من ملاحم توحيد المملكة العربية السعودية

«خاتمة البداية»



بطولة ملك ١١

العَرُوسُ والمَهْرُ

المؤلف في سطور

* د. عبد العزيز بن عبدالرحمن الثنيان
* من مواليد مدينة الرياض عام ١٣٦٩هـ.
* حصل على درجة الدكتوراه في الأدب العربي عام ١٤٠١هـ من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض.
* عمل معلماً لمدة عامين.
* انتقل الى جهاز وزارة المعارف، وعمل في الإدارة العامة للأبحاث والمناهج.
* عمل مديراً عاماً للتعليم بمنطقة الرياض، ولمدة عشر سنوات.
* عمل وكيلاً لوزارة المعارف، ولمدة سبع سنوات حتى تقاعده المبكر عام ١٤١٩هـ.
* شارك في العديد من الندوات والمؤتمرات واللجان، وله بعض المحاضرات والأبحاث في مجالات التربية والتعليم.
* من مؤلفاته التي صدرت:
  * الوحدة الإسلامية في الشعر العربي الحديث.
  * عمرو بن معديكرب الزبيدي (حياته وشعره).
  * بوح الذاكرة (الجزء الأول).
  * بطولة ملك (اثني عشر جزءاً).
  * بوح الذاكرة (الجزء الثاني).
* مؤلفات تحت الطبع:
  * إنسانية ملك (ثلاثة أجزاء).
  * بوح الذاكرة (الجزء الثالث).



هذه السلسلة

حكاية بطولة، وملحمة فتوة، ورواية عظمة، للكيان الشامخ المملكة العربية السعودية.

إنها قصة ملك عظيم، أمضى زهرة عمره فوق ظهر حصانه، يُوحد ويجمع، يلمّ ويبني.

إنها مجموعة متوالية تحكي للشباب التاريخ الحافل بالبطولات، والماضي المتوهج بالتضحيات وكيف توحدت المملكة، وصارت هذه الدولة.

إنها من اثنتي عشرة قصة مُتسلسلة

١- الفُتُوَّةُ والزَّعَامَةُ. ٢- الاقتحامُ والاستِرْدَادُ.
٣- التَّحَدِّي والمُنَازَلَة. ٤- تَحَالُفُ الخُصُوم.
٥- السَّاحِلُ الشَّرْقِيُّ. ٦- مُحَايِدٌ ومُحَارِبٌ.
٧- مَعْرَكَةٌ تَلِدُ. ٨- المَعَارِكُ الجَلِيلَةُ.
٩- الشَّمَال الجَامِحُ. ١٠...
١١ العَرُوسُ والمَهْرُ. ١٢...

هذا وقد قامت الأمانة العام... عام على تأسيس المملكة... بتحكيم الكتاب وتقويمه و... ...لي.

...نال الكتاب جائزة حائل... ١٤١...هـ - ١٩٩٩م.

ردمك: ٠-٤٨٢-٢٠-٩٩٦٠



9904240600260